نقطة الصفر
ZERO POINT

# إضاءات في تربية الأبناء

# الحُــبّ

إعـداد :

د. عماد الدين خضر

Follow us
@ZeroPointEESD

# الحُــبّ

**كيف يمكن أن نربي أبناءنا عليه؟**

كما أن هناك تربية معرفية علمية هي واجبة علينا تجاه أبنائنا فإنه أيضًا يوجد تربية وجدانية وهي لا تقل عن أي نوع من أنواع التربية؛ لِأنّ ترجمة الأحاسيس والمشاعر والتعبير عنها مهمٌّ جدًا في نمو شخصية الطفل، والمقصود هو الحب الذي قد يكون غائبًا عن أذهاننا في كثير من الأحيان.

**والسؤال: هل يمكن أن نربي أبناءنا بالحب؟ هل هو حقيقة أم خيال؟**

سأجيب عن هذه الأسئلة عَن طَريقِ الحديث القدُسيّ: "ما تقرب إليّ عبد بشيءٍ أحبَّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.." الحديث.

إذًا، نلاحظ من الحديث القدسيّ أن حبَّ الله عز وجل نتيجةٌ لما يقوم به العبد من أداء النوافل، والنتيجة هي أنَّ هذا العبدَ سيميّز عن باقي العباد، بأنّه يرى ويسمع ويمشي ويفعل بقوة الله؛ لأنَّه أحبَّه.

**<u>والحُبُّ نوعان: حقيقيٌّ ونرجسِيّ:</u>**

1. **الحب الحقيقي:** هو الحب الذي بلّغ عنه رسولُ الله ﷺ عن المرأتين؛ عندما جاء الذئب وأخذ ابن أحدهما فتحاكمتا عند سليمان بن داوود فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله.. هو ابنها، فقضى به للصغرى"؛ لِأنّ حبَّها الحقيقيَّ ظهر فلم يهُنْ عليها، وفضّلت إعطاءَه لعدوتها في سبيل أن يبقى سليمًا مُعافًى.
2. **الحب النرجسيّ (حُبُّ المَنّ):** فنراه جَلِيًا في سلوكِ فرعونَ مع موسى عليه السلام، في قول الله تعالى: {قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ 18 وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ 19 قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ 20 فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ 21 وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ 22} [الشعراء: 18-22].

فنلاحظ أن حب فرعون لموسى عليه السلام يعتمد على المن، وهذا ما لا نريده عندما يقول الأب أو الأم لابنهم: ألا تذكر ما فعلته لك؟ ألا تذكر كم حرمت نفسي من كثير من الأمور لأجلك؟ يا حسرة عليّ؟ يا ليتني ربيتُ ..... ولا ربيتك؟!

والحقيقة الجليةُ أن الابن يجب أن يرد إحسان والديه إليه بالحب والإحسان، وإن لم يفعل ذلك فقد خسر كثيرًا، ولكنَّ هذا لا يعني أن يتوقف الآباء عن الإحسان في حالة تمرد الابن أو الابنة أو عقوقهما للوالديهما فقد قال رسول الله ﷺ: **"الكَبائِرُ: الإشْراكُ باللهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ"** [صحيح البخاري: 6870] والصحيح أن يستمر الآباء بإحسانهم ودعائهم لهذا الولد أو الابنة بالخير والصلاح.

ولكن بعودتنا إلى الحب الحقيقي لأبنائنا الأطفال وهم زهور في الصف الأول والثاني أو حتى في الروضة وما قبل الروضة -أقصد مرحلة الطفولة المبكرة- فأبناؤنا بحاجة إلى الحب الحقيقي، الحب الممزوج بالتقبيل والأحضان، الحب الذي يستشعر فيه الابن حضن والديه ليأخذ منه كل ما يريد من الحنان والعطف.

ولو حاولنا تعريف الحب على الرغم من صعوبة تعريف المشاعر عمومًا، فإنّ الحب: عاطفة إنسانية تتمركز حول شخص أو شيء أو مكان أو فكرة، وتسمى هذه العاطفة باسم مركزها؛ فهي إمّا عاطفة حب الوطن إذا كانت مركزة للوطن أو عاطفة الأمومة إذا كانت مركزة حول عاطفة الأم لطفلها وهكذا.

والحب له مفاهيم كثيرة انطلاقًا من التعريف السابق، فهو كل شيء في حياتنا دون مغالاة ودون زيادة أو نقصان، وليس فيه دلال ولا قسوة كما أنه يرتقي بشكل أفضل عندما تتدخل مفاهيم الاقتصاد، والمال، والعمل، والعقاب، والثواب وغيرها بأسلوب عقلاني وتصرف واعٍ.

**فليس الحب أن توفر لأبنائك أحسن وضع اقتصادي فقط.**

**وليس الحب أن تغدق عليهم الأموال بكثرة وتشتري لهم كل شيء.**

**وليس الحب أن تضعهم في مدارس تحتاج إلى عدة آلاف من قبيل المباهاة أمام الناس أو على سبيل المنّ على أبنائك.**

**وليس الحب أن تعود في منتصف الليل ولا تراهم طوال الأسبوع إلّا لمحات بسيطة.**

**وليس الحب أن تعود من عملك وأنت في أسوأ حال وتؤنب هذا وتعاقب هذا.**

**ليس هذا الحب!**

وأنا أتأسف لذكر السلبيات أولًا، ولكن هذا ما يحدث في معظم بيوتنا وهذا ما دفعنا إلى النظر لهذا الموضوع بعين الأهمية.

الحب لا يعني أن ترهق نفسك ماديًا في متطلبات إضافية لهم، فأبناؤك بحاجة إلى أكثر من هذا البعد المادي، الحب أن تعود وقت الغداء وتجمعهم حولك على مائدة واحدة، والحب أن تجلس معهم ساعة المساء في مكان تجمع العائلة ولو ساعة، تداعبهم وتجلسهم في حضنك، وأن تلعب معهم، وتسمع من هذا، وتقبل هذا، ولنا في رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام أفضل قدوة، فقد كان يلاعب الحسن والحسين عليهما السلام ويُركبهما على ظهره ﷺ.

الحب أن ترأف بهم وتسلّم عليهم عند دخولك البيت وتلبي حاجاتهم العاطفية وتقبلهم وترشدهم إلى الخير، وأن تفعل أمامهم كل ما يرضي الله، وأن تكون قدوتهم الحسنة دائمًا، وأن تقبلهم ساعة النوم وتحنو عليهم وتغطيهم، ولو تَطَّلب الأمر منك قصة فلا مانع من ذلك، أو أن تصحبهم معك إلى البقالة أو إلى الشراء أو إلى السوق أو إلى بيت الجد والجدة، الحب أن تشعرهم أنّهم أهم شيء في حياتك وليس النقود التي تجمعها، الحب أن تشعرهم بتفاعلك اليومي معهم، وأنهم في مأمن بوجودك من العوز وحاجة الآخرين، تشعرهم أن وجودك حماية وأمان لهم.

كما أن هناك كثيرٌ من المشكلات البيتية فيما يتعلق بالأطفال يمكن حلّها بالحب؛ فهو الأساس ولكن لا يدركه أولياء الأمور، فهناك العديد من الحالات لأطفال تم حل مشكلاتهم باستشارة قُدِّمَتْ لهم، وكان لها كبير الأثر على بيوتهم، عَن طَريقِ توفير ما يحتاج الأبناء في البيت من علاقة وجدانية كانت مفقودة من الأم أو الأب.

وأستذكر إحدى الاستشارات، عندما راجعتني أم لطرح مشكلة في بيتها بينها وبين ابنتها التي لم يتجاوز عمرها الخمس سنوات، فقد كانت هذه الطفلة ترفض الخادمة بشدّة وتضربها، ترفض أي خدمة تقدمها الخادمة لها، حتى إنها ترفض أن تجهزها صباحًا للمدرسة، وترفض أن تضع الشطيرة التي تصنعها الخادمة في حقيبتها، كما ترفض أي تعامل معها، وقد تطورت حالة الطفلة إلى التبول اللاإرادي، وعند التحدث مع الأم وإجراء دراسة حالة، تبيّن أن الأب في سفر، والأم عندها خادمة، وتعامل الخادمة كصديقةٍ بِسببِ غياب زوجها ومللها طوال النهار؛ بِسببِ الوحدة، حتى أنّها تجالسها عند التلفاز في غرفة اجتماع العائلة، وتذهب معها إلى الحدائق العامة والأسواق، وتصاحبها لبيت أمها، كما تشتري لها كل ما يلزمها بطريقة مختلفة واهتمام يحفه شعور التقرب والصداقة وليس بإحساس المسؤولية تجاهها فقط.

فوصل هذا الشعور المختلف إلى الطفلة، واستشعرت بداخلها -ودون وعي منها- الغيرةَ الطفولية وحُبّ التملك الذي جبل الله عليها الأطفال، فلاحظت الطفلة ما يحدث، فتشكلت لديها ردة فعل أثرت على سلوكها، وتحولت رقَّتُها إلى عدوانية تجاه الخادمة، وقد تطور هذا السلوكُ إلى حالة مَرَضيّةٍ أخرى هي التبول اللاإرادي، وعند معالجتي للموضوع ووضع برنامج محدَّدٍ للأمِّ لإعطاء ابنتها ما تحتاجه من حب ووجدانيات واهتمام، ووضعِها في رأس أولوياتها، تعدَّلَ الحالُ خلالَ عدةِ أسابيع بفضل الله.

وقد كان لهذه الحادثة أثرٌ عندي، فاستلهمت منها موضوعًا مُهِمًا عن الخادمات وأهميتِهِنّ ودورِهِنّ في بيوتنا، سيكون إن شاء الله ضمن أوراق هذا الكتاب.